جمهورية مصر العربية	١٤ من رمضان ١٤٣٨هـ□
وزارة الأوقاف	٩من يونيو ٢٠١٧م□

(١)

رمضان شهر الدعاء والإجابة والنصر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فمن خصائص شهر رمضان المبارك أنه شهر الدعاء ، وشهر الإجابة ، وشهر الإنابة إلى الله (عز وجل)، لأن الإنسان فيه يكون أقرب إلى الله تعالى من أي وقت آخر ، فكلَّما عظُمت معرفة الإنسان بربه وقويت صِلتُه به كان دعاؤُه له أعظم.

فالدعاء من أفضل العبادات التي يقوم بها الإنسان المؤمن ، شأنه عظيم ، ونفعه عميم ، ومكانته عالية في الدين، فهو قمة الإيمان ، وسرّ المناجاة بين العبد وربه ، وهو من أعظم أسباب دفع البلاء ، كما أنه سبب لانشراح الصدر وتفريج الهم وزوال الغم، به تفرج الكروب ، وتستجلب النعم ، وتدفع النقم ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ ، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا . قَالُوا إِذاً نُكْثِرُ. قَالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ).

والدعاء سلاح المؤمن في كل وقت ، وهو أكرم شيء على الله (عز وجل)، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ)، لذا فإن الله (عز وجل) يحب من يدعوه ، ويغضب ممن لا يدعوه ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)، وقد أحسن الشاعر العربي حين قال:

لا تسألنَّ بُنيّ آدم حاجة *** وسلِ الذي أبوابُه لا تُحجب .

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ *** وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ .

ويقول آخر:

وإني لأدعو اللهَ والأمـرُ ضيقٌ *** علـيَّ فـما ينفـك أن يتفرّجـا

وربَّ فتى ضاقت عليه وجوهُهُ *** أصاب له في دعوة الله مَخْرَجا

ومما يبين مكانة الدعاء وعلوَّ شأنه في شهر الصيام أن الحق سبحانه وتعالى ربط بين الصيام والدعاء برباط وثيق ، ففي ثنايا حديث القرآن الكريم في سورة البقرة عن الصيام وفرضيته وبعض أحكامه يأتي قول الله تعالى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، ليؤكد على ربط الدعاء بالصيام والصيام بالدعاء ، وعلى أهمية الصيام في إجابة الدعاء، فالآية تدل دلالة واضحة على ارتباطهما معًا ، وتبين أن من أعظم الأوقات التي يُرجى فيها الإجابة والقبول شهر رمضان المبارك الذي هو شهر الدعاء ، وخاصة عند ساعة الفطر ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (للصائم دعوة لا ترد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ).

ولا شك أن الدعاء من أعظم الطاعات ، وأنفع القربات ، لذلك سَمَّاه الحق سبحانه وتعالى عبادة في قوله:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)، ثُمَّ قَرَأَ :{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) .

ولما كان للدعاء هذه المكانة العظيمة ، والمنزلة الجليلة ، جاء آيات القرآن الكريم ، وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) مبيِّنة فضله ومُنَوِّهة بمكانته وعظم شأنه ، ومرغِّبة فيه، لأنه أساسُ العبادة وروحُها ، وعنوانُ التذلُّل والخضوع والانكسار بين يدي الله (عز وجل) وإظهار الافتقار إليه ، يقول الحق سبحانه: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ، ويقول تعالى: { هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا) ، فهذه النصوص الشرعية تبين عظم شأن الدعاء وفضله.

وجدير بالذكر أن للدعاء آدابًا ينبغي المحافظة عليها والتأدب بها حتى تتحقق ثمرته ، **ومن هذه الآداب:**

* **الإخلاص لله سبحانه وتعالى**، يقول تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}، ويقول سبحانه: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.

* **حضور القلب وحسن الظن بالله عند الدعاء** ، قال (صلي الله عليه وسلم) : (الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ)، وفي الحديث القدسي يقول رب العزة سبحانه: (... يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ...).

* ومن هذه الآداب: **تحري الحلال في المأكل والمشرب والملبس** ، قال (صلى الله عليه وسلم): (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: تُلِيَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا}، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ...).

* ومنها: **أن يكون الدعاء مشتملاً علي شيء مشروع** ، ليس فيه تجاوز على أحد من خلق الله، مع عدم استعجال الإجابة والمداومة على الدعاء. لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاِسْتِعْجَالُ؟. قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ (أي ينقطع عن الدعاء)عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ).

* **تخير الأوقات الفاضلة كثلث الليل الآخر** ، قال (صلى الله عليه وسلم): (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) ، ووقت السجود بين يدي الله (عز وجل) في الصلاة، قال (صلى الله عليه وسلم) : (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) ، ويوم الجمعة ، قال (صلى الله عليه وسلم) :

(إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)، ويوم عرفة، قال (صلى الله عليه وسلم) : (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وعقب الانتهاء من الصلاة المكتوبة ، لقول أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) : قِيل : يا رسولَ الله أي الدُّعاء أَسْمَعُ ؟ قال : (جَوفُ اللَّيلِ الآخِرُ ، ودُبُرَ الصلواتِ المكتوباتِ) ، وغير ذلك من الأوقاف الفاضلة والأحوال الشريفة التي ينبغي على المسلم استثمارها.

إضافة إلى شهر رمضان المبارك وما له من خصوصية بالدعاء ، وما فيه من منح ربانية وعطاءات إلهية في كل أوقاته ليلاً أو نهارًا ، فهو شهرٌ عظيمٌ مرجوَّةٌ فيه الإجابة ، وحريٌّ بعباد الله المؤمنين أن يكثروا فيه من الدعاء ، وأن أفضل وقت للصائم يدعو الله (عزَّ و جلَّ) فيه هو وقت الإفطار ، بعد أن أنهى ذلك الصوم لله وما أصابه في ذلك اليوم من ظمأ وتعب لله (عزَّ و جلَّ) ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ)، فعلى العبد أن يغتنم الفرصة ويطلب من الله ما يريد فإن الله تعالى يجيب له دعاءه ، فلا يبخل العبد على نفسه في أن يسأل ربّه كل ما يحتاجه ، فالبخيل من بخل بالدعاء .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإسلام:

كذلك من آداب الدعاء: أن يبدأ العبد دعاءه بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم يدعو بما شاء ، لحديث فضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ (رضي الله عنه) قال: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ، لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (عَجِلَ هَذَا . ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ).

وكما أن رمضان شهر الدعاء والإجابة فهو أيضًا شهر النصر الذي لا يأتي إلا مع الصبر والعمل والجد والاجتهاد ، ففي شهر رمضان نصر الله المؤمنين ببدر وهم قلة في العدد والعتاد حيث يقول الحق سبحانه: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}،انتصر المسلمون في شهر رمضان بفضل إيمانهم بالله (عز وجل)، وحسن التوكل على الله ، مع الأخذ بالأسباب المتاحة .

وفي شهر رمضان كان فتح مكة الذي ضرب فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع المثل في مكارم الأخلاق وخاصة في العفو والصفح والتسامح والرحمة ، حين قال

لأهل مكة: (ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم– : اذهبوا فأنتم الطلقاء).

وفيه شهر رمضان – أيضًا– كان توفيق الله (عز وجل) لقواتنا المسلحة الباسلة بنسيجها الواحد في حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ، وكان شعار المحارب: الله أكبر ، مع الصيام والقيام والقرآن والدعاء الصادق ، فكان النصر المبين، وطرد المعتدين .

وهنا نذكر بما قدمته قواتنا المسلحة ومصرنا الغالية من شهداء عظام رووا أرض الوطن بدمائهم دفاعًا عن الدين والوطن والأرض والعرض ، ومازال العطاء مستمرًا في مواجهة الإرهاب الغاشم حتى تقتلعه من جذوره بإذن الله تعالى، دفاعا عن ديننا ووطننا وأمتنا العربية.

ونؤكد أننا في حالة حرب حقيقية مع هؤلاء الإرهابيين ، الخونة القتلة الجبناء ، ذلك أن الإرهاب خطر داهم لا دين له ولا وطن ، فهو يضرب الأخضر واليابس ، ويستهدف شق الصف الوطني وإحداث الفتنة بين أبناء الوطن الواحد ، فعلينا أن نتكاتف ونتعاون معًا في مواجهة هذا الإرهاب الأسود الغاشم ؛ لتخليص الإنسانية من شره وخطره ، فنحن جميعًا شركاء في الوطن والمصير ، وأن هذا الوطن لنا جميعًا وبنا جميعًا على أسس إنسانية ووطنية راسخة ومتكافئة .

فاللهم تقبل صيامنا وقيامنا ، واستجب يارب دعاءنا ، واجعل شهر رمضان شهر نصر وفتح وتأييد للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.